آسيا.. تحليل الاسبوع

نزاعات حدودية تشعلها المصالح الدولية

،، تعيش منطقة شرق وجنوب ووسط آسيا حالة من الغليان السياسي والتوترات الدبلوماسية وتضاعلات الأزمات الحدودية وتنافس المصالح الاستراتيجية منذ بروز الصين كإحدى القوى الصاعدة في عالم أصبح بالفعل يتجه نحو التعددية القطبية.

ففي مطلع هذا الأسبوع كان الخلاف الحدودي بين بكين وطوكيو على أشده وقد هيمن على جدول أعمال قمة الأسيان التي حضرتها الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا كضيوف شرف واتضح فيها درجة التباين بين الدولتين المتجاورتين ودخول واشنطن كطرف غير مرغوب فيه من قبل المسؤولين الصينيين خصوصا عقب تصريحات وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون التي اعتبرت ما يجري بين الدولتين في إطار التحالف الأمريكي الياباني ودعت إلى ضرورة حل خلافات الجزر والحدود البحرية في إطار القانون الدولي.

مُحمَّد سيف القراري

ولم تكن شبه الجزيرة الكورية بعيدة عن حمى التوترات رغم وجود جلسات محادثات بين كوريا الجنوبية والشمالية حول قضايا تنموية وسياسية في ظل تصاعد التهديدات العسكرية المصاحبة كنوع من الاستعراض والمناورات المسلحة.

وبما أن كل هذه التوترات الحاصلة في هذه المنطقة الهامة من العالم والتي تتحكم بمعظم حركات التجارة والاقتصاد العالمي قد تكون تستهدف الصين بحسب كثير من المراقبين والمحللين أظهرت الصين نوعا من القوة والحزم في ردة فعلها إزاءها حيث حذرت واشنطن صراحة من عدم التدخل في موضوع الخلاف الحدودي مع جارتها اليابان، معتبرة أن ما يجري يظل في إطار الخلافات الثنائية والذي سيحل بهذه الطريقة وقد عقد رئيس وزراء البلدين لقاء لمدة ١٠ دقائق في العاصمة الفيتنامية هانوي كان أقل من الرسمي لكنه وصف كخطوة في طريق التهدئة .

وزادت الصين إلى جانب تصريحاتها القوية قيامها أمس الأول بمناورات عسكرية بحرية وجوية شاركت فيها نحو (١٠٠) سفينة حربية وغواصة وطائرة مقاتلة وحوالي ١٠٨٠٠ من رجال البحرية الصينية والأهم في هذه المناورات حضور ممثلين عن (٤٠) دولة من بينها أمريكا ودول أوروبية وآسيوية وكل هذه الدول تنظر إلى تنامي قوة الصين الاقتصادية والسياسية والعسكرية بنوع من القلق والخوف والترقب لما سينتج عن ذلك من متغيرات جيو استراتيجية في الساحة الدولية عموما والاقليمية خصوصا .

وفيما أبدت واشنطن مرات عدة مخاوفها علانية من زيادة الانفاق الصيني على الجوانب العسكرية والتسليحية في الآونة الأخيرة أكدت الصين على أن الهدف هو تحديث قوتها العسكرية للأغراض الدفاعية فقط وليس موجها ضد أحد .

بل وسعت الصين إلى تهدئة مخاوف جيرانها بإطلاق قاعدة مبادرات في طريق تعزيز التعاون وعقد كثير من لقاءات الحوار والتشاور بهدف معالجة بؤر الأزمات بما فيها المشاكل الحدودية خصوصاً في بحر الصين الجنوبي ، إلا أنها في المقابل شددت على أنها لن تتنازل عن حقوقها الجغرافية وأنها مصممة على استعادتها ولو استغرق ذلك وقتاً أطول كما هو الحال في قضية تايوان وجزر تخضع للسيطرة اليابانية والأراضي محل النزاع مع جارتها الهند إلى جانب عدد من الدول مثل الفلبين وغيرها من الدول المشتركة مع الصين بحدود سواء في اليابسة أو البحار والممرات المائية التي تعبرها كميات كبيرة من القوافل التجارية .

وقد كشف خبراء عسكريون أن المناورات والتدريبات العسكرية التي تقوم بها الصين رغم أنها روتينية سنوية إلا أنها تأتي أيضا متناسبة مع الموقف الراهن في بحر الصين الجنوبي الذي تثور فيه منازعات حول السيادة على بعض جزره والهدف قد يكون بحسب الخبراء هو إظهار القوة البحرية للصين لمواجهة تدخلات أطراف أخرى.

وجاءت هذه المناورات عقب قيام البحرية الأمريكية-اليابانية بإجراء تجارب وصفت بالناجحة على صواريخ اعتراضية في المياه الاقليمية اليابانية في الأسبوع الماضي وهي الفترة التي تزامنت مع ارتفاع حدة التوتر بين بكين وطوكيو والمستمرة منذ سبتمبر الماضي إثر احتجاز صياد صيني كان على قاربه قرب الجزر المتنازع عليها الأمر الذي أغضب حكومة وشعب الصين وردت عليه بمظاهرات وتصريحات وتعقيدات اقتصادية وتجارية .

ومما يؤكد أن هذه المنطقة تشهد توتراً وغلياناً شديدين إثر تفجر الخلاف بين روسيا واليابان عقب زيارة الرئيس الروسي ديمتري مدفيديف إلى جزر الكوريل الأربع التي تعتبرها طوكيو أنها تابعة لها فيما ترفض موسكو تلك الاتهامات وتطور الأمر إلى قيام الحكومة اليابانية بسحب سفيرها من موسكو التي أبدت استغرابها وعدم فهمها لموقف جارتها اليابان.

وكل تلك الأحداث والتطورات السياسية الأخيرة أدت إلى حركة دبلوماسية نشطة في المنطقة فبعد القمة الآسيان ومشاركة وزيرة الخارجية الامريكية كلينتون ووزير الخارجية الروسي لافروف كضيوف من المنتظر أن تعقد قمة ثنائية أخرى بين الرئيس الكوري الجنوبي إلى ميونغ باك ونظيره الروسي ديمتري مدفيديف في ١٠-١٢ نوفمبر الجاري ومن المؤكد أنها ستركز علي بحث آخر مجريات الساعة في المنطقة ولن تكون بعيدة عن أزمة برنامج كوريا الشمالية النووي ونزاعات الجزر والحدود إلي جانب عدد من القضايا الدولية وعلاقات الشراكة بين البلدين.

وتشهد شبه الجزيرة الكورية توتراً متصاعداً بسبب أزمة النووي والخلافات بين بيونج يانج وسيول عقب غرق السفينة الكورية والتي تتهم بالوقوف ورائها جارتها الشمالية التي قررت المضي قدماً في تطوير برامجها التسليحية الصاروخية والنووية والانسحاب قبل ذلك من طاولة المحادثات السياسية مؤخراً واتفاقيات الحد من انتشار الأسلحة وغيرها من الإجراءات التي أعتبرتها واشنطن وحلفاؤها في المنطقة بالاستفزازية، فيما بررت كوريا الشمالية تلك الاجراءات بأنها تأتي في إطار سياسة الدفاع عن النفس كما رافق هذا التوتر قيام البحرية الأمريكية المتواجدة في المنطقة والتي يزيد عددها عن ٣٥ ألف جندي تتمركز في قواعد عسكرية بكوريا الجنوبية واليابان بعدة مناورات عسكرية مشتركة أغضبت كوريا الشمالية وحتى الصين التي تقدم لنظام كوريا الشمالية دعماً لوجيستياً معلناً بحكم العلاقات الوطيدة بين النظامين منذ عقود الحرب الباردة.

وفي أحدث رد فعل على هذا الوضع المتوتر أكد الرئيس الكوري الجنوبي أن حكومته تتخذ إجراءات الأمن التامة ضد هجمات محتملة من قبل كوريا الشمالية قبل وأثناء قمة العشرين التي ستعقد الأسبوع المقبل في سيول.

وقال لي أمس أن حكومته تراقب مختلف التحركات التي يمكن أن تتخذها بيونج يانج والمجموعات الإرهابية وتقوم باستعدادات تامة رغم أنه استبعد أن تقدم جارته على عمل ضد اجتماع يجتمع فيه القادة الدوليون ويتعاملون مع القضايا الاقتصادية العالمية..

وأشار إلى أن الولايات المتحدة والصين متفقتان على ضرورة تحذير النظام في بيونج يانج من القيام بأي عمل استفزازي يتعلق بقمة العشرين.

وأبدى الرئيس الجنوبي استعداده لدعم جارته الشمالية في المجالات الاقتصادية ودعاها للاستفادة مما ستقدمه هذه الدول من مساعدات للدول الفقيرة وهذا يتطلب بذل جهد من قبل جيرانه لإقناع المجتمع الدولي بتقديم المزيد من الدعم والمساعدة لبيونج يانج والتي تعاني الشمالية أزمة غذائية ومشاكل تنموية لكنها تتفوق على جارتها بقوة عسكرية ضاربة تتسلح بترسانه من الصواريخ والأسلحة النووية ينظر إليها جيرانها بقلق وحذر متزايدين.

ولإبراز هذا الخطر للرأي العام الدولي الذي قام بإصدار عدة قرارات من قبل مجلس الأمن الدولي ضد كوريا الشمالية كشفت أمس سيول اعتقادها بأن برنامج الأسلحة النووية لجارتها ربما يمتلك (٤٠) كيلو جراماً من البلوتونيوم وهذا بحسب خبراء سيمكن من صنع أربع قنابل نووية على الأقل.

وقال وزير الدفاع الكوري الجنوبي كيم تاي يونج أن كوريا الشمالية يعتقد أنها تمتلك ٤٠ كيلو جراما من البلوتونيوم وتواصل محاولاتها لتصغير حجم الأسلحة النووية .

مبدية قلقها مطلع أكتوبر الماضي من أن التهديد النووي زاد إلى مستوى مخيف والقت الضوء على ذلك بأن جهود بيونج يانج لتصنيع قنابل صغيرة تحتاج لكمية أقل من البلوتونيوم .

وقد توقفت العام الماضي المحادثات السداسية والتي تشارك فيها إلى جانب الكوريتين الولايات المتحدة والصين وروسيا واليابان عندما قررت الشمالية الانسحاب احتجاجا على العقوبات التي صدرت ضدها وتتصل واشنطن عن تقديم المساعدات التي وعدت بها في عهد إدارة الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون منتصف عقد التسعينيات من القرن الماضي وقد برزت فرص الاستئناف هذه المحادثات منذ مجيء الرئيس الجديد باراك أوباما .. إلا أن حادث غرق السفينة الحربية تشيونا نا مارس الماضي عرقل تلك الفرص وزاد من حجم التوتر الأمر الذي يبقي كل الأبواب مفتوحة نحو مزيد من التهديدات والمخاطر المتزايدة والأعاصير والفيضانات الذي بلا شك سيلقي بمضاعفته على ما تشهده هذه المنطقة من توترات سياسية ودبلوماسية بالتزامن مع الكوارث الطبيعية كثوران براكين اندونيسيا والمشهد الساخن الذي تعيشه آسيا يجعل كثير من المراقبين والمحللين يجمعون على أن هذا الضجيج ما هو إلا تسخين لصراعات ربما يبدو أنها قد تؤدي إلى نشوب نزاعات عسكرية بسبب خلافات الحدود أو تصادم المصالح ، إلا أن ما يمنع قيام مثل هذه الحروب من عوامل أقوى وأكبر من أسبابها .

فالصين دولة قوية ولا يمكن لأي طرف من الأطراف اللعب معها إلى حد أبعد من خلافات الصفقات وحل مشاكل اليوان ومعالجة اختلال التوازنات التجارية معها كما أن الصين حتى الآن لم تظهر نوازع توسعية عدوانية مع القوى الدولية الأخرى ، حيث تنتهج مبدأ الدبلوماسية الناعمة وعدم التدخل بمصالح الآخرين فهدفها هو الحصول على ما يمكن الحصول عليه من مصالح .

وترجح الأحداث أن الخلافات لن تنجح مع جارتها اليابان عن التوتر الدبلوماسي ولابد أن يتم التوصل إلى توافقات ترحل الأزمات إلى أوقات ظروف أخرى وفرص مستقبلية جديدة لا أحد يستطيع أن يتنبأ لمصلحة من ستكون لصالح التنسيق الصيني الذي ينصح كثير من منظري الغرب حكوماتهم بتركه نائما وعدم ازعاجه أو لصالح الاستراتيجيات الأمريكية التي تدور معاركها في كل المناطق المحيطة بالصين من الشرق الأوسط إلى أفغانستان وباكستان والجميع دون شك مستوعب ويراقب كل ما يجري والأكيد أنهم في حالة دراسة وتقييم ومراقبة ومراجعة لكل الاستراتيجيات والكثير من الأجوبة لا تزال في جوف المستقبل .